* **محاضرات في النحو الوظيفي** -

موجهة لطلبة السنة الثالثة تخصص لسانيات عامة.

من إعداد الأستاذة حكيمه حمقه.

**المحاضرة01: في مفهوم الوظيفة.**

قبل الولوج إلى استعراض النظريات ذات المنطلق الوظيفي في مسار الدرس اللساني الحديث، و استعراض مشروع النظرية النحوية الوظيفية الذي تقوم عليه هذه الوحدة لابد من الوقوف عند مصطلح الوظيفة ومفهومه اللغوي و الاصطلاحي.

**-مفهوم الوظيفة:**

**-الوظيفة في المفهوم اللّغوي:**

سنعمل في هذا العنصر على استعراض مفهوم الوظيفة لغة، من خلال مجموعة من المعاجم العربية و القواميس الغربية، وذلك ليتجلى لنا هذا المفهوم أو هذا المصطلح في الثقافتين العربية و الغربية على حد سواء.

**-المفهوم اللغوي لمصطلح الوظيفة في المعاجم العربية:**

جاء في لسان العرب لابن منظور تحت مادة (و.ظ.ف) ما يلي:" الوظيفة من كل شيء: ما يقدر له في كل يوم من رزق، أو طعام، أو علف أو شراب و جمعها الوظائف و الوُظْفُ، ووظف الشيء على نفسه ووظف توظيفا، ألزمها إياه، و قد وظفت له توظيفا على الصبي كل يوم حفظ آيات من كتاب الله عزّ وجل"[[1]](#footnote-2)، لقد جاء المفهوم اللغوي لكلمة الوظيفة في هذه الفقرة المقتطفة من لسان العرب و مما جاء كله تحت هذه المادة (و.ظ.ف) في ذات المعجم بمعنى المهمة و الواجب المطلوب أو الدور وذلك في الحياة بصفة عامة كما وردت مشتقات الوظيفة للدلالة على أماكن معينة في أرجل الفرس و الجمل الأمامية و الخلفية و صيفاتها كفرس عريض الأوظفة أو المحدوبة ...الخ

كما وردت كلمة الوظيفة في معجم الوسيط على النحو التالي: "وظف البعير، (يظفهُ) وظفا: أصاب وظيفة..، وظفهُ: عيّن له في كل يوم وظيفة.

و عليه العمل و الخراج و نحو ذلك: قدره. يقال وظف له الرزق، ولدابته العلف. و وظف على الصبي كل يوم حفظ آيات من القرآن: عين له آيات لحفظها...

(الوظيفة): ما يقدر من عمل أو طعام أو رزق و غير ذلك في زمن معين"[[2]](#footnote-3) لا يختلف معنى الوظيفة في هذا المعجم عن معناها في معجم لسان العرب فقد جاءت بمعنى المهمة و العمل و الالزام، الذي نجده في المعجمين عند الزام معلم القرآن للمتعلمين عند حفظ عدد معين من الآيات القرآنية كل يوم.

**-المفهوم اللغوي لمصطلح الوظيفة في القواميس الغربية:**

جاء في قاموسLe ROBERT quotidien

ما يلي:

« Fonction : n .f... 1 Exercice d’un emploi, d’une charge : par ext. Ce que doit accomplir une personne pour jouer son rôle dans la société. Dans un groupe social activité② devoir, mission, office, rôle, service, tache, travail…

2- Profession considérée comme contribuant à la vie de la société charge, emploi, métier… situation juridique de l’agent d’un service public. Etre dans la fonction publique fonctionnaire… »[[3]](#footnote-4)

نلاحظ أن معنى كلمة "Fonction " المرادفة لكلمة " الوظيفة " في اللغة العربية جاءت بنفس المعنى في جميع القواميس الغربية، وهو المعنى أو الدلالة التي تقدمها هذه الفقرة المقتبسة في قاموس "ROBERT "، حيث جاءت بمعنى العمل، الدَّور والمهمة وهو المعنى نفسه الذي نجده في القواميس العربية الحديثة.

**-الوظيفة في المفهوم الاصطلاحي:**

لمصطلح الوظيفة أهمية كبيرة في الدرس اللساني الحديث. حيث أضحى متداولا بشكل واضح في كل فروع الدراسات اللغوية الحديثة، و يقصد به " أصحاب الاتجاه الوظيفي التداولي ارتباط بنية اللغة بوظيفة التواصل و التبليغ و التبيان و تقوم الوظيفة على أن لا اعتبار للوحدات اللسانية إلا من خلال الدور الذي تلعبه في التواصل"[[4]](#footnote-5) .

لقد ربط الاتجاه الوظيفي التداولي مصطلح الوظيفة بالتبليغ و التواصل، إذ لا قيمة للوحدات اللغوية بمعزل عن الدور الذي تلعبه في العملية التواصلية.

و قد اختصر أحمد المتوكل مفهوم الوظيفة في مفهومين أساسيين هما: الوظيفة كعلاقة و الوظيفة كدور.

1. **الوظيفة كعلاقة:**

قدمها المتوكل على أنها "العلاقة القائمة بين مكونين أو مكونات في المركب الاسمي للجملة"[[5]](#footnote-6) بمعنى أن الوظيفة كعلاقة تهتم بوظائف الوحدات اللغوية داخل السياق الذي تأتي فيه أي علاقة كل عنصر لغوية داخل المركب (أو الجملة) بالعنصر الذي يليه أو العنصر الذي سبقه مثل العلاقة الاسنادية (مسند أو مسند إليه)

1. **الوظيفة كَدَورْ:**

طرح فكرتها المتوكل بمعنى: " الغرض الذي تسخر الكائنات البشرية اللغات الطبيعية من أجل تحقيقه"[[6]](#footnote-7) لقد حصر المتوكل بهذا الوظيفة الدور في وظيفة اللغات الطبيعية المتمثلة في التواصل، و النحو الوظيفي ركز على الوظيفة كعلاقة لا لاهتمامها بالوحدات اللغوية داخل التركيب و بالعلاقات التي تربطها ببعضها البعض و هذا لا يعني أن النحو الوظيفي ألغى أو نفى الوظيفة الدور بل اعتبرها من بديهيات أو مسلمات الممارسة اللغوية فالهدف الأول من كل ممارسة لغوية هي التواصل.

**المحاضرة -2-**

**النظريات الوظيفية في اللسانيات الحديثة (1)**

إن الحديث عن النحو الوظيفي و مفهومه و مبادئه و التعمق في جزئياته يفرض علينا استعراضا و لو سطحيا لمسار الوظيفة في الدرس اللساني الحديث. ذلك لأن النظريات اللسانية الحديثة لم تأت من عدم، و لم تظهر فجأة و إنما جاءت نتيجة تراكمات معرفية سابقة، فالمتتبع لمسار الدرس اللساني الحديث سيلاحظ أن كل نظرية جديدة تقوم على سابقتها بشكل من الأشكال، حيث لا نجد قطيعة قطعية بين النظريات اللسانية الحديثة التي كان منطلقها فرديناند دي سوسير.

إن الاتجاه الوظيفي في الدرس اللساني يحوي كل النظريات التي تنظر إلى اللغة من جانبها الوظيفي التداولي، وهو اتجاه ينتمي إلى التيار البنوي الذي تأسس نتيجة النقد الذي قدمه "دي سوسور" للمنهج التاريخي وقد أطلق على رواد هذا الاتجاه اسم الوظيفيون"، بحكم أنهم ينطلقون في دراستهم للغة من مبدأ البحث عن الوظائف والأدوار التي يمكن أن تؤديها عناصر اللغة البشرية. والتحليل الوظيفي للغة ليس حكرا على البنوية، فهو يخترق الحدود المنهجية لجميع الدراسات اللسانية الحديثة، فمفهوم الوظيفية مفهوم مائع ينطلق منه اللسانيون من مختلف مذاهب علم اللسان بما في ذلك البنوية و التوليدية التحويلية والتداولية لأغراض و توجيهات منهجية مختلفة.

1. **حلقة براغ:Le cercle de brague**

تعد مدرسة براغ من أهم المدارس اللسانية التي نشأت في ظل المنهج البنوي، و يرجع ظهورها إلى مطلع القرن العشرين بالتحديد إلى سنة 1926 بتشيكوسلوفاكيا على يد مجموعة من اللسانيين أشهرهم: ماتيزيوس Mathesius، تروبتزكوي ،Trubetzkoy جاكوبسن Jackobson، كارسوفسكي Karcevskij، وترونكا Trenka، وهافرانك Havrank، وقد تأثرو جميعا بالمفاهيم اللسانية المتصلة بالفونيم والتي اعتبرت فيما بعد قاعدة أساسية قامت عليها المبادئ الفونولوجية لهذه المدرسة، ميز رواد هذه المدرسة بين الفونتيك و الفونولوجيا.

-**مبادئ مدرسة براغ:**

كان منطلق هذه المدرسة من تحديد اللغة باعتبارها نظاما وظيفيا، و قد ركزت على دراسة الوظيفة الأساسية للغة و المتمثلة في التواصل (فكيف يتم؟ لمن يوجه، و في أي مناسبة) و من مبادئ هذه المدرسة نذكر:

-اللغة واقعة اجتماعية أي ظاهرة طبيعية ذات واقع مادي، فهي تتصل بعوامل خارجية منها ما يتصل بالسامع و منها ما يتصل بالموضوع الذي يدور حوله الكلام، و عليه من الضروري التمييز بين لغة الثقافة و لغة الأدب و لغة الشارع.

-ضرورة دراسة العلاقة بين البنية اللغوية و المظاهر العقلية و النفسية الإنسانية التي توصلها هذه البنية.

- الاقرار بالاختلاف الموجود بين اللغة المنطوقة و اللغة المكتوبةن فلكل واحدة منها خصائصها المميز، و عليه من الضروري دراسة العلاقة الرابطة بينهما دراسة علمية.

- استثمار مفاهيم سوسير في الدراسة الوظيفية للصوت اللغوي، نحو التقابل النظام العلاقات التركيبية و الاستبدالية، ثنائية اللغة و الكلام...الخ

- على البحث الفونولوجي أن يتجه أولا إلى دراسة التقابلات الفونيمية لأنها ذات دلالة ومعنى على المستوى المورفولوجي، وعليه لا يجب فصل الظاهرة المورفولوجية عن الظاهرة الفونولوجية، فعادة ما ترتبط التقابلات الفونيمية بالتغيرات الصرفية.

- **الصوتيات الوظيفية:**

لقد تميزت مدرسة براغ بالدراسة الصوتية ، أطلقوا على منهجهم في دراسة الأصوات اسم " الصوتيات الوظيفية و يعني هذا الفرع من الدراسة اللسانية بدراسة " المعنى الوظيفي للنمط الصوتي، ضمن نظام اللغة الشامل و استخراج كل الفونيمات و ضبط خصائصها، وينبغي هنا أن لا يخلط الدارسون بين الصوتيات ( Phonetics) والصوتيات الوظيفية Phonology"[[7]](#footnote-8). ركزت مدرسة براغ على دراسة الصوت دراسة وظيفية وهذا ما يميزها عن الدراسات الصوتية السابقة و فيما يلي الفرق بين الفونتيك والفونولوجيا:

الفونيتيك تعرف الصوت تعريفا عامًا باعتباره أصغر وحدة غير دالة تحمل صيفات تمييزية فيزيائية أو فيزيولوجية و تنقسم إلى ثلاث فروع أساسية هي " الصوتيات النطقية (articulatory-phonetics) وتعني بوصف الجهاز الصوتي ومخارج الاصوات أي بالمتكلم، و الصوتيات السمعية (auditory-phonetics) وتعني بعملية تلقي الأصوات وإدراكها أي بالمستمع، والصوتيات الفزيائية (acoustic phonetics) تدرس الجانب الفيزيائي الصرف المتمثل في انتشار الموجات الصوتية من فم المتكلم إلى أذن المستمع عبر ذبذبات صوتية معينة"[[8]](#footnote-9)، بينما الفونولوجيا تربط تعريف الصوت بالوظيفة و بالدور الذي يؤديه العنصر في مدرج الكلام، فالفونيمات لا تحلل في الدراسات اللسانية الوظيفية انطلاقا من خصائصها الفيزيائية أو الفيزيولوجية فقط، إذ لايجب التوقف عند وصف الأصوات بالقول مثلا عن الأصوات /خ/ر/ج/: الخاء مجهور- رخو يندفع الهواء عند النطق به مارًا بالحنجرة، ولا يحرك الوترين الصوتيين، أما الراء: فمرقق و مفخم مجهور، و يتميز بتكرار طرق اللسان للحنك عند النطق بها، و الجيم مجهور قليل الشدة، يندرج هذا النوع من المعالجة ضمن التحليل الفيزيائي للاصوات و هو يندرج ضمن الفونيتيك (علم الأصوات العام) الذي يقابله الفونولوجيا أي الصوتيات الوظيفية التي تهتم بدراسة وظائف الأصوات فيتم ضمنها تحليل الأصوات و هي دخل البنية اللغوية التي تنتمي إليها و بفضل هذا العلم أصبح من السهل التعرف على الفونيمات المختلفة التي ظلت لفترة طويلة متماثلة و ذلك من خلال مبدأ الاستبدال Commutation نحو خرج لا تتضح وظيفة الخاء داخل هذا التركيب إلا باللجوء إلى الاستبدال أي استبدال الخاء بأصوات أخرى خَرَجَ \_ عرج – فرج – درج إن استبدال صوت الخاء بأصوات أخرى يؤدي إلى اختلاف دلالة الكلمة بالتالي فإن العلاقة بين خ، ع، ف، د هي **علاقة تضاد فونولوجي** و في كلمة Bonjour (غ-r) و Bonjour

(ر-r) تقول أن العلاقة بين (ر-r) هي **علاقة توافق فونولوجي** لان عملية التبديل هنا لا تغير معنى الكلمة.

ان الصوتيات الوظيفية في مدرسة براغ لا تختصر على النقاط التي قدمناها في هذه الصفحات وللاستفادة أكثر والاطلاع على أعمال روادها راجع كتاب أحمد مومن "اللسانيات النشأة و التطور".

**المحاضرة-3-**

**النظريات الوظيفية في اللسانيات الحديثة(2)**

**-اسهامات اندري مارتيني:**

بالاضافة إلى مدرسة براغ التي اهتمت بوظيفة الأصوات نذكر اسهامات أندري مارتيني André Martinet ممثل البنوية الوظيفية في فرنسا.

**-وظيفة اللغة عند مارتيني:**

إن الوظيفة الاساسية للغة هي التواصل ولها وظائف ثانوية تؤديها كالوظفة الجمالية في النصوص الأدبية.

ينطلق مارتيني من اعتقاد مفاده أن اللغات ليس مجرد نسخ للأشياء كما هي في الواقع و إنما هي بنى منظمه تحلل الواقع وعليه فإن تعلم لغة جديدة ليس مجرد وضع علامات جديدة لأشياء معلومة في اللغة الأم، بل هو اكتساب لنمط جديد من التحليل هذا النمط هو الذي يميز اللغة الأم عن اللغة الأجنبية.

**-بعض مبادئ التحليل الوظيفي عند "مارتيني":**

**1- التقطيع المزدوجDouble articulation :**

و هو تقطيع يمكننا من تحليل اللغة إلى وحدات نهائية ويتم هذا التقطيع على مستويين:

المستوى الأول: يتم فيه تجزئة اللغة إلى وحدات لغوية دالة تسمى هذه الوحدات بالمونيمات (الكلمات) كقولنا:

أشكو ألما في الرأس.

أشكو/ ألما/ في/ ال/ رأس (مونيمات)

المستوى الثاني: يتم فيه تقطيع المونيمات إلى وحدات غير دالة هي الفونيمات:

أ/ش/ك/و/أ/ل/م/ا/ف/ي/ا/ل/ر/أ/س/.

**2-مبدأ الاقتصاد اللغوي:**

قصد به مارتيني قدرة الإنسان على التعبير عن تجارب وحاجات لا حصر لها بأقل جهد ذهني، و الذي يساعد عل تحقيق هذا المبدأ التقطيع المزدوج الذي يجعل الوظيفة التواصلية تتم بعدد محدود من الفونيمات، في العربية مثلا نعبر عن تجاربنا دائما بعدد ثابت من الأصوات هي الأبجدية العربية، لأنه لا يمكننا أن نعطي لكل وحدة دالة صغرى إنتاجا صوتيا خاصا بها فذلك يلزمنا التمييز بين الآلاف منها نطقيا و سمعيا وهو شيء يفوق القدرة الإنسانية.

و يتحقق هذا المبدأ من خلال المقابلة أو التقليب بين الفونيمات.

1. **أنواع المونيمات عند مارتيني:**

المونيمات حسب مارتيني تختلف بعضها عن بعض من ناحية وظائفها في السياق وقد قسمها إلى ثلاث أنواع

1. **المونيم الحر:**

هي مونيمات تحمل دلالتها في ذاتها فهي حرة لا تتقيد بموقع معين إذ بإمكانها أن تأتي في بداية الجملة أو في وسطها أو في نهايتها، ولا يغير موقعها في الجملة من المعنى العام المراد من تلك الجملة. ومن أمثلة ذلك ظروف الزمان

ب**-المونيم المقيد:**

هو مونيم لا يحمل دلالة و لا يِؤدي دورا في التركيب إلا إذا كان في موضع خاص وأي تغيير في موقعه يؤدي إلى إختلال المعنى العام و من أمثلة ذلك المضاف إليه في اللغة العربية.

**ج- المونيم المساعد:**

سمي مساعد لأنه لا يحمل دلالة في نفسه لكنه يلعب دورا مهما في أداء المونيمات الأخرى لوظائفها و نذكر منها في اللغة العربية: حروف الجر- حروف العطف- أدوات النصب و الجزم بالإضافة إلى تمييز أندري مارتيني بين أنواع المونيمات نجده يميز أيضا بين أنواع المركبات.

**-أنواع المركبات عند مارتيني:**

**أ- التركيب الحر:**

هو أساس التركيب الكلامي يعبر عن المعنى الأساسي ونجده في الجملة الإسمية مبتدأ وخبر وفي الجملة الفعلية فعل و فاعل قد يمتد إلى المفعول به أحيانا

**ب-التركيب المكتفي:**

وهو تركيب يتكون من وحدتين أو مونيمين فأكثر تجمعهما علاقة وثيقة، وتتحدد وظيفته من خلال دلالته الكلية في سياق التركيب و ليس بموقعه مثل الجار و المجرور.

وقد تحدث "مارتيني" عن الإلحاق الذي يقصد به كل وحدة تضاف إلى المركب الحر. وقسمه قسمان الإلحاق بالعطف و الإلحاق بالتعلق.

**2-التوليدية التحويلية:**

جاءت التوليدية التحويلية بعد أن بلغت البنوية ذروتها في نهاية الخمسينات، وقد ارتبطت بزعيمها نوام تشومسكي الذي تميزت أبحاثه بمنهجها العقلي والعلمي الرياضي الدقيق، وقد ركز في أعماله على ما يعرف بالقدرة اللغوية عند الفرد المثالي و هي قدرة تمكن هذا الأخير من إنتاج و فهم عدد لا متناهي من الجمل، و عليه يكون النحو التوليدي عبارة عن نظام من القواعد التي تتكرر لتوليد عدد غير متناه من البنيات[[9]](#footnote-10).

وهي قواعد تقوم على ثلاث مستويات أساسية هي المكون التركيبي والفونولوجي والدلالي وهي أساس النحو التوليدي.

لقد نشأ بين الاتجاه التوليدي التحويلي والاتجاه الوظيفي صراعا كبيرا لكونهما يختلفان من حيث مبدئهما العام "يقوم النموذج التوليدي التحويلي على مبدأ استقلالية التركيب، ليس عن الوظيفة فحسب، بل عن أي دلالة أو تداول، وعليه يكون التفسير غير النحوي كالظروف و الملابسات الخارجية و مواقف الكلام و غيرها. قليل الأهمية لأن الظاهرة اللغوية تنضبط من حيث المبدأ بشروط نحوية خالصة قابلة لتشكيل على نحو محكم، و يتجسد بدقة في القواعد التحويلية في حين يرى الاتجاه الوظيفي أن الظواهر اللغوية على خلاف مستوياتها تحكمه في الحقيقة من حيث المبدأ عوامل غير لغوية، أي أن جل الظواهر اللغوية ليست إلا انعكاسا للوظيفة التبليغية"[[10]](#footnote-11)

وقد تم انتقاد تشومسكي على هذا الأساس مما دفعه هذا الأخير إلى الاعتراف بأن قدرة المتكلم و السامع في الحقيقة قدرتان: قدرة نحوية و قدرة تداولية، و بدخول العامل التداولي إلى التوليدية التحويلية أصبحت نظريات النحوية الوظيفية تميز بين نوعين من النظريات نوع يدخل داخل الإطار التوليدي التحويلي و آخر ينشط خارجها[[11]](#footnote-12)

**المحاضرة الرابعة**

**نظرية النحو الوظيفي.**

**-مفهوم النحو الوظيفي:**

النحو الوظيفي هو ذلك النحو الذي لا يكتفي بدراسة الدور الذي تلعبه الكلمات داخل بنية الجملة، أي الوظائف التركيبية داخل البناء الجملي نحو الفعل الفاعل و المفعول و المضاف ... الخ بل يتعداها حسب المتوكل إلى وظائف أخرى أعطى لها النحو الوظيفي أهمية كبيرة و تتمثل هذه الأخيرة في كل من الوظيفة الدلالية و التداولية و هما متعلقتان على التوالي بالوظيفتين التبليغية و المقامية[[12]](#footnote-13) ففي الأنحاء الوظيفية " الدلالة و التداول يشكلان مستويين يتضمنان كل المعلومات التي تحتاجها القواعد التركيبية المحددة لرتبة المكونات، وحالاتها الإعرابية، و غير ذلك من الخصائص التركيبية، ففي النحو الوظيفي مثلا تجرى " قواعد التعبير" القواعد التركيبية الصرفة على أساس المعلومات المتوفرة في "البنية الوظيفية"، اي البنية التي تتضمن، التأشير للخصائص الدلالية و التداولية"[[13]](#footnote-14)

و بهذا يختلف النحو الوظيفي عن النحو التقليدي في كونه لا يكتفي بدراسة الوظيفة التركيبية لبنية الجملة بمعزل عن سياقها الدلالي و التركيبي.

**-النحو غير الوظيفي:**

هو ما يسمى أيضا بالنحو التقليدي و النحو الصوري و هو نحو يقتصر على تحديد الوظيفة التركيبية أي تحديد أدوار و وظائف الكلمات داخل البناء الجملي و تسمى بالوظائف النحوية نحو الفاعل، المفعول... الخ و هذا النوع من النحو يخوض في الوظائف الدلالية و التداولية حسب ما ذهب إليه رواد النحو الوظيفي، و يرجع ذلك إلى كونه نحو صوري تعليمي.

قبل التطرق إلى نشأة النحو الوظيفي من خلال نموذج سيمون ديك SIMON DIK لابد من إعادة فكرة أساسية أوردناها في المحاضرة الأولى لما لها من أهمية، و هو فكرة الوظيفة الدور و الوظيفة العلاقة التي قال عنها أحمد التوكل ما يلي " حين نتحدث عن الوظيفة يجب أن يكون حاضرا في ذهننا التمييز بين معنيين اثنين لهذا المفهوم: الوظيفة باعتبارها دورا تقوم به اللغة ككل و الوظيفة باعتبارها علاقة دلالية أو تركيبية أو تداولية تقوم بين مكونات الجملة كعلاقة " المنفذ" مثلا، و علاقة الفاعل، و علاقة "المحور"[[14]](#footnote-15)، و بهذا أقر المتوكل أن الوظيفة الدور هي وظيفة اللغات الطبيعية المتمثلة في التواصل، أما الوظيفة كعلاقة فهي التي قام عليها النحو الوظيفي لكونها تهتم بالوحدات اللغوية داخل التركيب و بالعلاقات التي تربط بينهما، و هذا لا يعني أن النحو الوظيفي ألغى الوظيفة الدور بل هي شيء بديهي لا تختلف فيه جميع النظريات اللسانية الحديثة فالوظيفة التواصلية للغة هي من المسلمات التي لا يوجد اختلاف عليه.

**-نشأة النحو الوظيفي (نموذج سيمون دايك):**

ظهر النحو الوظيفي كنظرية جديدة في ساحة الدرس اللساني الحديث على يد الهولندي سيمون دايك، إذ يعتبر هذا الأخير المؤسس الفعلي لنظرية النحو الوظيفي، التي واكبت النظرية التوليدية التحويلية كما استفادت من النظريات الوظيفية التي سبقتها كنظرية الوجهة الوظيفية للغة و النظرية النفسية.

لقد رسم سيمون دايك من خلال أبحاثه الإطار النظري والمنهجي العام لنظرية النحو الوظيفي وقد دامت هذه الأبحاث عقدين من الزمن طالت مجال الدلالة و التداول و المعجم والتراكيب استفاد منها أتباعه و طبقت على لغات مختلفة كاللغة الهولندية، الانجليزية والفرنسية والعربية ولهذا أصبحت الوريث الشرعي لكل النظريات اللسانية الوظيفية في الدرس اللساني الحديث.[[15]](#footnote-16)

إن المتتبع لمسار النظرية الوظيفية سيميز لا محالة بين نموذجين أساسيين هما " نموذج الجملة الذي ظهر للوجود سنة 1978 من خلال كتاب سيمون دايك الموسوم بالنحو الوظيفي (Fonctional grammar )، تبعته أبحاث و مؤلفات أخرى، صبت كلها في إطار نحو الجملة إلى نهاية سنة 1988، و نموذج النص، الذي بدأ سنة 1989 بكتاب (ديك) المعنون بنظرية النحو الوظيفي (the theorie of fonctional grammar) رسم فيه المؤلف معالم نموذج نحو جديد، أتبعه مع فريق من الباحثين، بدراسات و أبحاث لا تزال إلى اليوم، تدفق مفاهيم هذا النموذج و توسعه، في إطار جديد تجاوز نطاق نحو الجملة إلى نحو النص"[[16]](#footnote-17). بمعنى أن النحو الوظيفي لم يتوقف عند حدود الجملة أي دراسة نحو الجملة دراسة وظيفية بل تعدى ذلك إلى ما هو أكبر من الجملة ألا و هو النص، حيث أضحى في السنوات الأخيرة يبحث بشكل كبير في نحو النص كمقابل لنحو الجملة الذي بلغ البحث فيه ذروته.

وبالاضافة إلى التمييز بين مرحلتي النحو الوظيفي للجملة و النحو الوظيفي للنص نجد أصحاب هذه النظرية يميزون بين ثلاثة نماذج نحوية هي:[[17]](#footnote-18)

1. **نموذج ما قبل المعيار(Modèle pré-standard):**

لقد شغل هذا النموذج الفترة الممتدة بين سنة 1978 و سنة 1988، وتندرج فيه كل الأبحاث التي تناولت مجال الدلالة و التداول و المعجم و التركيب في إطار الكلمة الواحدة و المركبة و الجملة البسيطة و المركبة مع التركيز في الاساس على الجملة البسيطة و يقدمه أحمد المتوكل بقوله " ما نقصد بالنموذج و النواة أول نماذج نظرية النحو الوظيفي المعروض له في كتاب ديك الأول (ديك 1978)، مكونات هذا النموذج الأولى ترتيبها في آلية الاشتغال أربعة مكونات: خزينة فقواعد إسناد الوظائف، فقواعد التعبير، ثم القواعد الصوتية"[[18]](#footnote-19)

**ب-النموذج المعيار "Modèle standare  ":**

قدمه أحمد المتوكل على أساس أنه " من نتائج السعي في تحصيل الكفاية التداولية إغناء النموذج الأولى توسيعا و إضافة و تدقيقا.

على أساس مبدأ أن التواصل لا يتم بواسطة المعرفة اللغوية الصرف فحسب بل كذلك بواسطة تفاعل هذه المعرفة مع معارف أخرى...ملكات معرفية و منطقية و اجتماعية و إدراكية إلى جانب الملكة اللغوية، أصبح الهدف الأساسي بناء نموذج لمستعملي اللغة"[[19]](#footnote-20) بمعنى أن النموذج المعيار جاء توسيعا للنموذج الأول حيث اهتم هذا النموذج بالجانب المعجمي التركيبي و التداولي داخل الجملة المركبة حيث أعاد فيها النظر وأعدها لتتناسب مع انتاج النص الذي أضحت فيه الملكة اللغوية ملكة نصية.

**-نموذج ما بعد المعيار (Modèle poste-standard):**

وهو نموذج بدأ البحث فيه سنة 1997 و لا يزال البحث فيه مستمرا إلى يومنا هذا، وقد بني هذا النموذج على فكرة أساسية مفادها أن بنية الخطاب الطبيعي بنية واحدة و تنعكس بالكيفية نفسها في نموذج مستعمل اللغة الطبيعية على جميع مستوياتها الكلمة و الجملة و النص.

**-أهم مبادئ نظرية النحو الوظيفي:**

عملت نظرية النحو الوظيفي على استيعاب أهم مبادئ النظريات الوظيفية خاصة تلك التي تتعلق بوظيفة اللسان أو اللغة الطبيعية، و علاقة الوظيفة بالبنية و القدرة اللغوية و ...الخ و عليه نجد هذه النظرية تقوم على مجموعة من المبادئ لخصها أحمد المتوكل فيما يلي[[20]](#footnote-21) :

**1-وظيفة اللغات الطبيعية "الأساسية هي وظيفة التواصل:** تنطلق نظرية النحو الوظيفي من مبدأ أساسي يتمثل في مكون الوظيفة الأساسية لكل لغة طبيعية هي التواصل وهي بهذا تختلف عند النظريات اللسانبة الوظيفية التي سبقتها، حيث أضحت الوظيفة التواصلية للغة واحدة من المسلمات التي وضعها دي سوسير و قامت عليها كل الاتجاهات اللسانية التي جاءت بعده. و قد انفردت نظرية النحو الوظيفي بكونها ركزت في أبحاثها على الربط بين بنية اللغة ووظيفتها الأساسية أي التواصل و التبليغ، إذ لم تفصل بين بنية اللغة بكل مستوياتها الصوتية، الصرفية، التركيبية و الدلالية و الوظيفة التي تؤديها و هي مجتمعة-التواصل.

**2-موضوع الدرس اللساني هو وصف "القدرة التواصلية Compétence communicative للمتكلم و المخاطب**. يلزم هذا المبدأ كل لساني يعمل على دراسة اللغة أن يصف القدرة التواصلية لطرفي العملية التخاطبية، و هو ما ذهب إِليه تشومسكي من خلال ثنائية ( القدرة والانجاز).

**3- النحو الوظيفي نظرية للتركيب و الدلالة منظورا إليها من وجهة نظر دلالية.**

بمعنى أن الوظائف الدلالية و التركيبية و التداولية عبارة عن مفاهيم أولية لا وظائف مشتقة، من هذا المنطق نجد سيمون دايك قد تجاوز في تحليله للجملة العلاقات التركيبية التي كانت محو اهتمام تشومسكي إلى جانب تفسيرها الدلالي والتداولي كما اقترح الكفاية التواصلية كبديل للكفاية اللغوية مركزا على الوظائف الثلاثة التركيبية والدلالية والتداولية في تحليله للجملة أو النص.

**4-يسعى النحو الوظيفي إلى تحقيق ثلاثة أنواع من الكفاية** هي الكفاية النفسية الكفاية التداولية و الكفاية النمطية.

**أ-الكفاية التداوليةL’adéquation pragmatique :**

تصنف نظرية النحو الوظيفي ضمن الأنحاء المؤسسة تداوليا، حيث استفادت كثيرا من الاتجاه التداولي الذي ظهر على ساحة الدراسات اللسانية الحديثة والذي اهتم بالكلام كتأدية و ممارسة فعلية اللغة، مركزا على طرفي العملية التواصلية المتكلم و المتلقي والعلاقات التي ترتبط بينهما أثناء عملية التواصل، وعليه نجد المتوكل يقدم الكفاية التداولية في نظرية النحو الوظيفي من منطلق أنه "على النحو الوظيفي أن يستكشف خصائص العبارات اللغوية المرتبطة بكيفية استعمال هذه العبارات وأن يتم هذا الاستكشاف في إطار علاقة هذه الخصائص بالقواعد و المبادئ التي تحكم التواصل اللغوي، يعني هذا أنه يجب ألا نتعامل مع العبارات اللغوية على أساس أنها موضوعات منعزلة بل على أساس أنها وسائل يستخدمها المتكلم لإبلاغ معنى معين في إطار سياق تحدده العبارات السابقة و موقف تحدده الوسائط الأساسية لموقف التخاطب"[[21]](#footnote-22) بمعنى أنه على النحو الوظيفي ألا يتعامل مع العبارات اللغوية على أساس أنها أنماط تركيبة بمعزل عن مستعمليها و ظروف استعمالها بل عليه دراستها و هي في الاستعمال فاللغة يحكمها نسقان:" نسق لغوي صرف و نسق استعمال، يتضافر هذان النسقان في تحديد أغلب العبارات اللغوية و هي ما يسميه ديك " الخصائص المرتبطة بالاستعمال" من هذه الخصائص الخصائص الصرفية و التركيبية و التطريزية التي يحددها القصد ( القوة الانجازية) و التي يحدها موقف المتكلم من فحوى خطابه (الوجه)... التواصل يتم في موقف معين و في إطار سياق تحدده العبارات اللغوية "السابقة"، مفاد ذلك أن إنتاج العبارات اللغوية و تأويلها يتمان في إطار خطاب متكامل (حوار أو سرد أو غيرهما) و هو ما دعا النماذج الأخيرة من النحو الوظيفي إلى السعي في مجاوزة نحو الجملة إلى نحو الخطاب"[[22]](#footnote-23) إن الكفاية التداولية ضرورية في دراسة الجملة و النص بحكم أن القواعد اللغوية ليست وحدها من يضمن سلامة و صحة الجمل و النصوص بل يتدخل في ذلك عوامل الاستعمال بما في ذلك المتكلم و المتلقي و العلاقة التي تجمع بينهما و السياق الذي يتمفيه انتاج تلك الجملة أو النص.

\_**الكفاية النفسية :** **L’adéquation psychologique**

كما أفاد النحو الوظيفي من الدرس التداولي نجده اعتمد أيضا على أبحاث علم النفس و علم النفس اللغوي بصفة خاصة، و قد قدم سيمون دايك الكفاية النفسية بقوله " تنقسم النماذج النفسية بطبيعة الحال إلى نماذج إنتاج و نماذج فهم، تحدد نماذج الإنتاج كيف يبنى المتكلم العبارات اللغوية وينطقها، في حين تحدد نماذج الفهم كيفية تحليل المخاطب للعبارات اللغوية و تأويلها. و على النحو الوظيفي الذي يروم الوصول إلى الكفاية النفسية أن يعكس بطريقة أو بأخرى ثنائية الإنتاج/ الفهم هذه" [[23]](#footnote-24) يفهم من هذا التقديم أن الكفاية النفسية تنقسم إلى نموذجين نموذج الإنتاج و نموذج الفهم و على النحو أن يعكس النموذجين أي أن يمثل النموذجين، فالمتكلم ينطلق من القصد إلى النطق عبر الصياغة حيث "يشكل التداول و الدلالة (مضمومين أو منفصلين) المكون القاعدي الذي على ضوء ما يتوافر فيه من مؤشرات تصاغ البنية الصرفية- التركيبية و يتم تحققها الصوتي"[[24]](#footnote-25) فالذهن يلعب دورا كبيرا في إنتاج وفهم العبارات اللغوية.

**-الكفاية النمطية L’adéquation typologique**

من الأمور التي سعى إلى تحقيقها سيمون ديك والباحثين في مجال النحو الوظيفي تحقيق الكفاية النمطية التي تعني انطباق النحو الوظيفي على أكبر عدد من اللغات الطبيعية باختلاف بنياتها الصوتية، الصرفية التركيبية حيث يعمل هؤلاء في نظرية النحو الوظيفي على رصد "ما يؤالف بين هذه اللغات المتباينة نمطيا و ما يخالف بينها و قد تجسد هذا المطمح فعلا في الاهتمام بالقواسم المشتركة بين اللغات الطبيعية، بالتركيز على كليات وظيفية (دلالية و تداولية)، أكثر منها صورية تحتمل الاختلاف والتباين... فالكليات الصورية المتباينة هي مجموعة محصورة من الخصائص، كالخصائص الصوتية المميزة لكل لغة و المقولات الصرفية كمقولات الاسم و الفعل و الصفة و الوظائف التركيبية، كوظيفتي الفاعل و المفعول..."[[25]](#footnote-26) إن النحو الوظيفي في سعيه إلى تحقيق الكفاية النمطية رصد القواسم المشتركة بين أكبر عدد ممكن من اللغات الطبيعية و ذلك بالتركيز على الكليات الوظيفية الدلالية و التداولية لا على الأنماط الصورية المتباينة، إذ على الرغم من التباين على مستوى الكليات الصورية كالخصائص الصوتية و الصرفية و حتى التركيبية فهي تكتسي طابع الكلية من جهة أنها موجودة في كل اللغات الطبيعية فالاسم و الفعل و الصفة و الفاعل و المفعول هي أمور نجدها في كل اللغات الطبيعية و النحو الوظيفي "لا يتخذ من هذا الطابع العام أو الكلي أساسا، و إنما يؤسس على الخصائص المشتركة بين اللغات مهما تباينت بناها، انطلاقا من خصائصها الدلالية و التداولية، لأنها متناظرة و متماثلة إلى حد التطابق في الغالب".[[26]](#footnote-27)

1. - ابن منظور: لسان العرب، مادة (و.ظ.ف) مجلد 9. [↑](#footnote-ref-2)
2. - مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط. [↑](#footnote-ref-3)
3. - Le ROBERT quotidien, imprimé en France, par Gibert SFF. A tours, Avril 1997. [↑](#footnote-ref-4)
4. - محمد الحناش: البنيوية في اللسانيات، دار الرثاء الحديث، ط1، الدار البيضاء، المغرب 1980، ص 96. [↑](#footnote-ref-5)
5. - أحمد المتوكل، التركيبيات الوظيفية. قضايا و مقاربات دار الأمان الرباط 2005، ص 21. [↑](#footnote-ref-6)
6. - المرجع نفسه، ص 23. [↑](#footnote-ref-7)
7. - أحمد مومن، اللسانيات النشأة و التطور، ط3، ديوان المطبوعات الجامعية 2008 بن عكنون- الجزائر ص 137. [↑](#footnote-ref-8)
8. - المرجع السابق، ص 137. [↑](#footnote-ref-9)
9. - ينظر: محمد الشكيوي: دروس في التركيب دار الأمان للنشر و التوزيع، الرباط2005ص14. [↑](#footnote-ref-10)
10. - يحيا بعطيش، نحو نظرية وظيفية للنحو العربي ص58. [↑](#footnote-ref-11)
11. - المرجع نفسه، ص59. [↑](#footnote-ref-12)
12. - ينظر أحمد المتوكل: من البنية المكونة: الوظيفة المفعول، دار الثقافة الدار البيضاء، المغرب 1987ص 15 و أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية ط1، دار الثقافة المغرب 1985 ص 9. [↑](#footnote-ref-13)
13. - أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية [↑](#footnote-ref-14)
14. - المرجع السابق ص 50 [↑](#footnote-ref-15)
15. - ينظر: يحيا بعطيش، نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، ص 77. [↑](#footnote-ref-16)
16. - يحيا بعطيش، نحو نظرية وظيفية للنحو العربي ص 77،78. [↑](#footnote-ref-17)
17. - المرجع نفسه ص 78،79. [↑](#footnote-ref-18)
18. - أحمد المتوكل: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول و الامتداد، دار الأمان، الرباط المغرب 2006 ص 71. [↑](#footnote-ref-19)
19. -المرجع نفسه، ص 74. [↑](#footnote-ref-20)
20. - أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية ص10. [↑](#footnote-ref-21)
21. - أحمد المتوكل، الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول و الامتداد ص64. [↑](#footnote-ref-22)
22. - المرجع نفسه ص 66-65 [↑](#footnote-ref-23)
23. - المرجع نفسه ص 66. [↑](#footnote-ref-24)
24. - المرجع نفسه ص 67. [↑](#footnote-ref-25)
25. - يحي بعطيش المرجع السابق ص 88 [↑](#footnote-ref-26)
26. - المرجع نفسه ص 88. [↑](#footnote-ref-27)